ما يجب على المكلف من الاعتقاد
مع بيان
وجوب التقليد في الفروع على القاصر عن رتبة الاجتهاد

تأليف
الفقير إلى رحمة مولاه الكريم تبارك
محمد بن ابراهيم المبارك

[الطبعة الثالثة]
سنة ١٤٠٣ هـ

الطبعة الثالثة. وتمتاز هذه الطبعة بزيادات فوائد وتحقيقات للمؤلف عامله الله بعفوه وفضله وغفر له ولوالديه ومشايخه وإخوانه والمسلمين

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه سبحانه وتعالى أستعين. يقول العبد الفقير المضطر إلى رحمة مولاه الكريم تبارك محمد بن إبراهيم آل مبارك: الحمد لله الذى اصطفى أولياءه من عباده المؤمنين، ووفقهم بفضله، فأفنوا أعمارهم فى خدمة هذا الدين، وأعانهم سبحانه وتعالى فمهّدوا قواعده، وقيّدوا شوارده، وتتبعوا ينبوعه؛ ودوّنوا أصوله وفروعه، امتثالا لأمر ربّ العالمين، ونصحاً لله ولرسوله ولعامة عباده أجمعين، فنقحوا الرواية، وحققوا الدراية، وصانوه جهدهم عن تطرق أوهام أهل الغواية، فحصلت لهم من الله العناية، ونالوا بالتبريز فى هذا الشأن مقام الولاية، وأصبحوا قادة للعالمين، وسادة فى كل قطر وحين. وصلى الله وسلم على سيدنا محمد الذى ناجاه ربه تبارك وتعالى فوق السبع السموات، وأشهده من الملكوت الأعلى ما لم يُشهدْه أحداً من المخلوقات، ورفع قدره، وشهر ذكره، إذ قرنه بذكره تعالى فى الأذان والأذكار والصلوات، وجعل متابعته صلى الله عليه وسلم عنوان محبته التى هي من أفضل القربات، وعلى سائر الآل والأصحاب، وتابعيهم بإحسان إلى يوم المآب.

وبعد، فهذه مقدمة فيما يجب على المكلف من الاعتقاد، مع وجوب التقليد فى الفروع على القاصرين عن رتبة الاجتهاد، كتبتها لأمثالى من إخوانى المبتدئين، لننتظم إن شاء الله في سلك المعلمين والمتعلمين. وقبل الشروع فى المقصود أبدأ بذكر فوائد حسان، نقلتها من كتب العلماء المعتبرين الأعيان.

(**الأولى**): اعلم أيها القارىء ــ وفقنا الله وإياك لما يرضيه ــ أنّ العلم بالله، والفقه في دين الله، من أفضل وأوجب ما يشتغل به المكلف، وأهمّ ما تنفق فى جمعه وتحصيله نفائس الأوقات وتصرف، كما جاء فى الصحيحين عن النبى

الصادق الأمين، من قوله صلى الله عليه وسلم: « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين »؛ وفى جامع الترمذى وحلية أبى نعيم عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « ما من رجل يسمع كلمة أو كلمتين مما فرض الله عليه فيتعلّمهن ويعلمهن إلا دخل الجنة » اهـ (شرح القسطلانى على البخارى).

(**الثانية**): العلم أفضل من العمل لوجوه: منها كثرة النصوص الصحيحة الصريحة فى تفضيل العالم على العابد[1]، ومنها تعدى نفع العلم وعمومه للعالم وغيره، والعمل خاص بصاحبه؛ ومنها أن أجر العمل ينقطع بالموت إلا ما استثنى، وأجر العلم باق أبداً لمن خلف علماً ينتفع به بعده.

(**الثالثة**): شروط العلم النافع ستة: اثنان يشترك فيهما المعلم والمتعلم وهما: إخلاص النية لله تعالى فى تعلمه وتعليمه، والثانى العمل بما استطاع من ذلك ابتغاء ثواب الله؛ واثنان يختص بهما العالم، وهما بذله لطالبه والسائل عنه بإخلاص ونصح، والتسوية فى التعليم بين الأغنياء والفقراء؛ واثنان يختص بهما المتعلم، وهما: تقديم الأهم فالأهم، لأن العمر قصير والعلم كثير؛ والثانى توقير شيخه ظاهراً وباطناً، قال بعض العلماء: من قال لشيخه: لِمَ، لم يفلح اهـ (قوانين ابن جزى) وقول ابن جزى عمن نقل عنه: (لم يفلح) يعنى إذا كان على وجه التعنت والتعجيز، لا ما كان على وجه التفهم والاسترشاد. وقوله رحمه الله (ينقطع بالموت) وقلنا بعد ذلك: إلا ما استثنى نعنى بذلك ما أخرجه الإمام مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « إذا

---

(١) قوله فى تفضيل إلخ، قد أفردت فى ذلك مؤلفات لأهل السنة كثيرة، منها جامع بيان العلم وفضله. وما ينبغى فى روايته وحمله للإمام الجليل حافظ المغرب أبى عمر يوسف بن عبد البر النمرى القرطبى الأندلسى المتوفى سنة ٤٦٣ هـ وغيره. وأكثر الكتب المصنفة فى الحديث تصدر غالباً بما ورد فى فضل العالم على العابد وفضل العلم على العمل إذا أريد به وجه الله والدار الآخرة. انتهى. مؤلفه.

مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث : « صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » ، وفى سنن ابن ماجه رحمه الله عن أبى هريرة أيضاً رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . « إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته : علماً نشره ، وولداً صالحاً تركه ، ومصحفاً ورّثه ، ومسجداً بناه ، وبيتاً لابن السبيل بناه ، ونهراً أجراه ، وصدقة أخرجها من ماله فى صحته وحياته تلحقه بعد موته ، ولا تنافى بين الحديثين ، إما لأن مفهوم العدد غير حجة ، أو لأنه اطلع صلى الله عليه وسلم على ما أخرجه مسلم أولا ثم أطلعه الله تعالى على الزائد فأخبر به . قال الحافظ السيوطى رحمه الله : وقد تضمن حديث ابن ماجه سبع خصال ، ووردت خصال أخرى بلغت بها عشراً ، وقد نظمتها فقلت :

إذا مات ابن آدم ليس يجرى　　عليه من خصال غير عشر
علوم بثها ودعاء نجل　　وغرس النخل والصدقات تجرى
وراثة مصحف ورباط ثغر　　وحفر البئر أو إجراء نهر
وبيت للغريب بناه يأوى　　إليه أو بناء محل ذكر

وزاد رحمه الله تعالى فى شرح مسلم حادية عشرة فقال :

وتعليم لقرآن كريم　　فخذها من أحاديث بحصر

اهـ (دليل الفالحين ـــ شرح ابن علان على رياض الصالحين ص ١٠٤) من الجزء السادس قلت : فينبغى للراغب فى الخير أن يجتهد فى تحصيل ما يستطيعه من هذه الخصال .

(**الرابعة**) : قال الحضرمى رحمه الله : كان العلم فى الصدر الأول فى صدور الرجال ، ثم انتقل إلى جلود الضأن بعد ذلك ، فصار مفاتحه صدور الرجال ، فلابد للمتعلم من عالم يفتح مغلقه ، ويفهمه أنواعه وطرقه ؛ وللمتعلم خمس

مراتب، هي: الإنصات، والسماع، ثم السؤال حتى يفهم ما سمع، ثم الحفظ لما فهم، ثم العمل بما علم.

قال الإمام ابن شهاب: لا تكابد العلم، ولكن خذه مع الأيام والليالى، والشيء بعد الشيء؛ فمن أراد أخذه جملة ذهب منه جملة. اهـ. قلت: وفى هذا قيل: والعمر كله أوان للطلب، وبعد سبعين ابن زياد طلب اهـ (إضاءة الحالك) نقلا عن فتح البارى على البخارى. وقوله سبعين بالموحدة، هكذا روى، وفى رواية صحيحة أيضاً: تسعين بالمثناة، واستغربه ابن حجر: وابن زياد ـــ بتخفيف الياء وشددت للوزن ـــ هو أحد أئمة السلف، وترجمته مبسوطة فى طبقات الفقهاء الحنفية، واسمه الحسن بن زياد أبو على اللؤلئ صاحب أبى حنيفة، وله مسند عن أبى حنيفة، وكان محبا للسنة وأتباعها حتى لقد كان يكسو مماليكه كما يكسو نفسه اتباعاً لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألبسوهم مما تلبسون». قال السمعانى: كان عالماً بروايات أبى حنيفة. قال شمس الأئمة السرَخسى: الحسن بن زياد المقدم فى السؤال والتفريع. قلت: والبيت الآنف الذكر للشيخ محمد حبيب الله فى متن دليل السالك إلى موطأ الإمام مالك، وقد صوبه فى شرحه إضاءة الحالك بقوله: وبعد سبعين ابن كيسان طلب، وهو صالح بن كيسان المدنى أبو محمد أو أبو الحارث الغفارى مؤدب أبناء أمير المؤمنين سيدنا عمر بن عبد العزيز. قال مصعب الزبيرى: كان جامعاً بين الحديث والفقه والمروءة. ونحوه لابن حبان، وهو من أول أقران موسى بن عقبة، وكان موسى يحكى عنه. وقال ابن عبد البر: كان كثير الحديث ثقة حجة فيما حمل، رأى ابن عمر وابن الزبير وسمع منهما. وروى عنه مالك وابن إسحاق وابن جريج ومعمر وحماد ابن عيينة. وقال الحاكم: مات وهو ابن مائة ونيف وستين سنة. ووقع فى صحيح البخارى فى كتاب الزكاة: صالح أكبر من الزهرى أدرك ابن عمر وليس فى الكتب الستة صالح بن كيسان سواه. وأما صالح غير ابن كيسان فموجود نحو خمسة وخمسين. ورواية صالح بن كيسان عن الزهرى من رواية الأكابر عن الأصاغر. ومن رواية الأكابر عن الأصاغر رواية العبادلة وعمر وعلى وأنس ومعاوية عن كعب الأحبار رضى الله عن الجميع اهـ ملخصا من إضاءة الحالك.

(**الخامسة**) : قال بعض العلماء : قال الكرخى : مجامع الكمالات الإنسانية ثلاث : صحة الاعتقاد ، وحسن معاشرة الخلق ، وتهذيب النفس ، قال وقوله تبارك وتعالى (ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلوة وآتى الزكوة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون) جامع لمجامع الكمالات المذكورة : قال فمن قوله تعالى : ولكن البر إلى قوله تعالى والنبيين فى صحة الاعتقاد ؛ ومن قوله تعالى : وآتى المال إلى قوله تعالى : إذا عاهدوا فى حسن المعاشرة ، ومن قوله تعالى : والصابرين إلى قوله تعالى : وحين البأس فى تهذيب النفس . والله سبحانه وتعالى أعلم ، وقال نقلا عن بعض الأكابر رحم الله الجميع : اعلم أن العلم بالله وإخلاص العبادة لله تعالى جوهران لأجلهما كان كل ما تسمع وترى من تصنيف المصنفين وتعليم المتعلمين ووعظ الواعظين ونظر الناظرين بل لأجلهما أنزلت الكتب وأرسلت الرسل بل لأجلهما خلقت السموات والأرض وما فيهما من الخلق . وكفى دليلا على فضل العلم لا سيما علم التوحيد قوله تعالى : (الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شىء قدير وأن الله قد أحاط بكل شىء علما) . وكفى دليلا على وجوب صرف العبادة لله تعالى ولزوم الإقبال عليها قوله جل وعلا : (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) قال : فأعظم بأمرين هما المقصود من خلق الدارين ؛ فحق للعبد ألا يشتغل إلا لهما ولا يتعب إلا لهما ولا ينظر إلا فيهما : واعلم أن سواهما من الأمور باطل لا خير فيه ، ولغو لا حاصل له ، اهـ محل الحاجة منه .

قلت فإذا علمت ذلك اتضح لك جليا أن علم التوحيد أصل الأصول وسيد علمى المنقول والمعقول ، فهو الواجب الأول والمتعين العينى . وقد نقل عن الإمام ابن عرفة المالكى أحد علماء القرن الثامن أنه لما مرض وعاده تلامذته فأخذ يحثهم على التوحيد والاجتهاد فيه فقال : غشى على فى مرضى فتمثلت لى طائفتان : صغرى عن يمينى وكبرى عن شمالى فالتى عن يمينى ترجح الأيمان بالله تعالى والتى عن شمالى ترجح الكفر بالله تعالى وتورد على شبها فيوفقنى الله للجواب لما أعرف من القواعد والأدلة حتى إنهزمتْ وفرّتْ اهـ .

فلذا رأيت من المهم تقديم هذه المقدمة وهى تشتمل على بابين الأول : فيما يجب على المكلف من الاعتقاد . والثانى : فى بيان وجوب التقليد فى الفروع على القاصرين عن رتبة الاجتهاد لأنى جعلتها مقدمة لتعليقى الحاوى لبعض ما ذكره العلامة الشيخ أحمد الصاوى والحاشية المذكورة كأصلها لم يتعرضا لهذين الموضوعين اعتمادا منهما على ما لها من المؤلفات(١) الأخر قدس الله أرواحهما فى عليين ونظمنا ووالدينا ومحبينا معهما فى سلك المعلمين والمتعلمين بمنه وكرمه آمين ثم آمين .

---

(١) فمن مؤلفات الإمام الدردير شرحه الكبير على مختصر الإمام خليل الذى هو الآن عمدة المالكية . ومختصره أقرب المسالك وشرحه الصغير عليه ونظم الخريدة السنية فى العقيدة وشرحها وشرح على رسالة قاضى مصر فى قوله تعالى (يوم يأتى بعض آيات ربك) وشرح على مقدمة نظم التوحيد لكمال الدين البكرى وشرح مسائل كل صلاة بطلت على الإمام الخ للشيخ البيلى . ونظم الأسماء الحسنى ورسالة فى المعانى والبيان . ورسالة فى آداب البحث ، ورسالة فى طريق حفص ، وتحفة الإخوان فى آداب أهل العرفان ، وللصاوى مؤلفات أهمها حاشيته على الجلالين .

الباب الأول

فى بيان ما يجب على المكلف اعتقاده على مذهب السلف الصالح رضى الله عنهم

اعلم أن الذى عليه سلف الأمة فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهد أصحابه وتابعيهم وتابعى تابعيهم وهو عصر الأئمة المجتهدين المقلَّدين المشهود لهم بالخيرية. على لسان خير البرية، كما فى الصحيح من حديث « خير القرون قرنى الخ » هو أنهم يصفون الله تبارك وتعالى بما وصف به نفسه المقدسة أو وصفه بها رسوله صلى الله عليه وسلم، ويثبتون له تعالى ما أثبته لنفسه أو صح الخبر به عن رسوله بلا زيادة، ولا نقص؛ فيجب على المكلف أن يعتقد أن الله تعالى إله واحد لا إله غيره ولا رب سواه، ولا شبيه له ولا نظير، ولا ولد ولا صاحبة له، ولا شريك ولا مثيل له. وأنه تعالى وتقدس استوى على عرشه المجيد كما أخبر فى كتابه وعلمه فى كل مكان استواء يليق بجلاله تقدس وتعالى عن صفات النقص وسمات الحدوث، فسبحانه من إله عظيم واحد أحد فرد صمد له الأسماء الحسنى والصفات العلى، كلم موسى بكلامه الذى هو صفة من صفاته لا خلق من خلقه، ويعتقد أن القرآن كلام الله منه بدأ وإليه يعود، وأن يصفه بما وصف به نفسه فى كتابه العزيز أو وصفه به نبيه صلى الله عليه وسلم فى سنته الصحيحة من غير زيادة ولا نقص ولا تحريف ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل كما قال تعالى: (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير)؛ وقال تعالى: (هل تعلم له سميا)، وقال تعالى: (ولا يحيطون به علما)، وقال تعالى: (ولا يحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يئوده حفظهما وهو العلى العظيم) فسبحانه من إله عظيم دَلّتْ على وجوده آياته، وشهدت بكمال قدرته ووحدانيته مخلوقاته، يعتبر المتفكرون بآياته، ولا يتفكرون فى ماهية ذاته، وينتهى الموحدون إلى إثبات صفاته التى وصف بها نفسه المقدسة، ولا يتجاوزون إلى الخوض فى ذلك وحدّة كما لا يتجاوزون إلى التعطيل بجحده أو ردّه: فكما أن ذاته المقدسة لا تشبه الذوات، فكذلك صفاته الكريمة لا تشبه الصفات، فيجب على المؤمن أن يعتقد

أن ما جاء فى الكتاب والسنة الصحيحة من ذكر اليد واليمين والمجىء والنزول والاستواء وغير ذلك مما أخبر به تعالى عن نفسه صفات كمال لائقة بجلاله ولا يعلم كيفيتها أحد من خلقه كما هو مذهب سلفنا الصالح، فقد قال إمامنا مالك قدس الله روحه ونور ضريحه حينما سئل عن الاستواء قال: الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة. وقال الإمام الشافعى رحمه الله استوى بلا تشبيه وصدقت بلا تمثيل واتهمت نفسى فى الإدراك وأمسك عن الخوض كل الإمساك، وقال الإمام أحمد رحمه الله: استوى كما أخبر لاكما يخطر. وما روى عن إمامنا مالك رحمه الله روى نحوه عن أم المؤمنين أم سلمة رضى الله عنها. ولما نقل شيخ الإسلام ابن تيمية جواب مالك هذا فى شرحه لحديث النزول قال: فقول الحسن وقول مالك من أسدّ جواب وقع فى هذه المسألة وأشده استيعابا لأن فيه نبذ التكلُّف. وإثبات الاستواء المعلوم وقد ائْتَمَّ بقوله أهل العلم واستجودوه واستحسنوه اهـ شرح حديث النزول؛ فعقول المخلوقين تعجز عن معرفة كنه صفات الخالق؛ إذ هى عاجزة عن معرفة حقيقة الروح(١) والعقل وأحوال الجن(٢) والملائكة، وهذه مخلوقة حادثة فكيف يخوض المؤمن فى تحديد صفات خالقه. ولله در القائل:

---

(١) قوله الروح قلت قد انتهت الأقوال فى حقيقة الروح إلى ما ينيف على مائة قول انظر كتاب الروح للإمام المحقق ابن القيم رحمه الله ففيه ص ٢٨٤ ما نصه: القول السادس أنه جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس: نورانى علوى خفيف حى متحرك ينفذ فى جوهر الأعضاء ويسرى فيها سريان الماء فى الورد والدهن فى الزيتون والنار فى الفحم ثم قال بعد كلام: وكل الأقوال سواه باطلة وعليه دل الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وأدلة العقل والفطرة، ثم استدل على صحة هذا القول بما ينيف على مائة دليل. قلت: وهذا القول فى الروح هو ماروى عن إمامنا مالك رحمه الله.

(٢) قوله الجن فى شرح جامع الأصول سبب مس الجن وتقسيمه وحكاية أحمد مع جارية المتوكل وانظر آكام المرجان فى أحكام الجان ففيه أيضا الحكاية المذكورة والأحاديث المتضمنة إثبات مس الجن وشىء من الرد على من أنكر ذلك من المعتزلة وهو كتاب جليل نفيس فى موضوعه يشتمل على مائة وأربعين بابا فيما يتعلق بأحكام الجان لمؤلفه الإمام الفاضل المحدث القاضى أبى عبد الله محمد بن عبد الله الشبلى الحنفى المتوفى سنة ٧٦٩ سبعمائة وتسع وستين اهـ وهو فى خزانتى بحمد الله.

قل لمن يفقه عنى ما أقول　　قصر القول فذا شرح يطول
أنت أكل الخبز لا تعرفه　　كيف يجرى منك أم كيف تبول
كيف تدرى من على العرش استوى　　لاتقل كيف استوى كيف النزول
استوى الرب كما قد جاء فى　　سور التنزيل فافهم يا جهول

واعلم أن أسماء الله وصفاته توقيفية يعنى يوقف فيها على ماورد فى الكتاب والسنة، وفى الصحيح من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم (سبحانك لاأحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك) وقد تضمنت كلمة التوحيد جميع ما يجب لله تعالى توحيدا وتنزيها لأن معنى لا إله إلا الله: لا معبود بحق إلا الله؛ قال تعالى (ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلى الكبير). وإذا علم العبد هذا علم ضرورة أنه سبحانه وتعالى هو الإله الذى تأله إليه قلوب العباد فى دفع ما تكره وطلب ما تحب وأنه المنفرد سبحانه بهذه الألوهية فيجب له أن يكون متصفا بنعوت الجلال وصفات الكمال التى وصف بها نفسه أو وصفه بها نبيه صلى الله عليه وسلم متنزها عن جميع النقائص والرذائل وسمات الحدوث، فإذا فهم العبد معنى لا إله إلا الله وعمل ظاهراً وباطناً بمقتضاها فهو المؤمن الموحد.

واعلم أن من قال لا إله إلا الله ثم صرف شيئا من العبادة لغير الله كالدعاء والذبح والسجود فهو مشرك[١] وإن اعتقد أن الله رب كل شىء؛ قال تعالى: (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولُن الله) ويجب على المكلف أيضا أن يعتقد أن جميع العوالم العلوية والسفلية العرش فما دونه حادثة مخلوقة أوجدها ربنا تبارك وتعالى بقدرته محتاجة إليه وهو سبحانه غنى عنها وأن يعتقد أن جميع ما يكون فيها من خير وشر هو بقضائه وقدره وإرادته وعلمه جف بذلك قلمه

(١) وإذا أردت تحقيق معنى الشرك ومعنى العبادة فانظر شرح حديث: من مات يشرك بالله شيئا دخل النار فى صحيفة ٢٩٢ جزء ثالث من فتح المنعم شرح زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى ومسلم.

وسبقت به إرادته وعلمه، فسبحانه من إله عظيم لا يعزب شيء عن علمه ولا يشذ شيء عن قدرته غير أن الخير مقضى مرضى والشر مقضى غير مرضى؛ فالإرادة غير المحبة كما هو التحقيق عند علماء السنة، وقد يعبر عن المحبة بالإرادة الشرعية والأولى هى الإرادة الكونية القدرية كما قاله المحققون من شراح كتب الحديث، فيجب علينا معاشر المؤمنين التسليم لحكمه والاستكانة لأمره وقد قلت فى هذا:

فلا تتعرض لاعتراض لحكمه　　فتلقى بيوم العرض نارا تسعر

كما يجب علينا أن نتقى مخالفة أمره ونلوم أنفسنا على تقصيرنا فى حقه تعالى.

ويجب علينا الإيمان بملائكته. وهم عباد مكرمون، لا يعصون الله تعالى ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، مسكنهم السموات ودأبهم الطاعات، يسبحون الليل والنهار لا يفترون.

فمنهم حملة العرش.

ومنهم الحفظة على بنى آدم.

ومنهم موكّلون بالأوامر الإلهية كالقطر والنبات والنطف والأرحام والتماس حَلَقِ الذِّكْرِ وغير ذلك ولا يعلم عددهم إلا الذى خلقهم، وهم أكثر خلق الله فيما نعلم (وما يعلم جنود ربك إلا هو) فيجب الإيمان بجميعهم إجمالا، وبأعيان من سمى لنا فى الكتاب والسنة تفصيلا.

ويجب الإيمان أيضا بجميع الأنبياء عليهم السلام، فأولهم آدم أبو البشر وآخرهم وأفضلهم وسيدهم محمد صلى الله عليه وعليهم أجمعين. ويتعين الإيمان بعين كل من سمى لنا منهم فى القرآن أو السنة، وقد ذكر فى القرآن العظيم منهم خمسة وعشرون؛ قال بعض العلماء فى ذلك:

حتم على كل ذى التكليف معرفة ... بأنبياء على التفصيل قد علموا
فى تلك حجتنا منهم ثمانية ... من بعد عشر ويبقى سبعة وهم
إدريس هود شعيب صالح وكذا ... ذو الكفل آدم بالمختار قد ختموا

ويجب فى حقهم الصدق والأمانة والتبليغ والفطانة.

وأجمع من يعتد به على عصمتهم من الكفر والكبائر وصغائر الخسة والإقرار على الصغائر. وفى جواز وقوع الصغائر منهم خلاف والصحيح عصمتهم من ذلك، وفى عدد الرسل والأنبياء خلاف أصح ذلك ما جاء فى حديث أبى ذر رضى الله تعالى عنه أن الأنبياء، مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا والرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر، انظر تفسير القرطبى وغيره. (خلاف الصحيح عصمتهم من ذلك). ويجب الإيمان باليوم الآخر والبرزخ[١] وما اشتمل عليه من العذاب والنعيم والجنة والنار والصراط والميزان والعرض والصحف وأخذها بالأيمان أو الشمائل والحساب والقصاص والحوض والشفاعة ومجىء الله تعالى لعرض الأمم وحسابها وجميع ما جاء من ذلك فى الكتاب والسنة كعذاب[٢] القبر ونعيمه وفتنته[٣] وهى

---

(١) قوله والبرزخ وهو ثلاثة أقسام: مكان وزمان وحال. فأما المكان فمن القبر إلى عليين تعمره أرواح السعداء ومن القبر إلى سجين تعمره أرواح الأشقياء. وأما الزمان فهو بقاء الخلق فيه من أول من مات أو يموت من الجن أو الإنس إلى يوم يبعثون. وأما الحال فإما منعمة أو معذبة. أو محبوسة للتخلص بالسؤال من الملكين اهـ حاوى.

(٢) أخرج البيهقى عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: إن عذاب القبر من ثلاثة: من الغيبة والنميمة والبول فإياكم وذلك اهـ الحاوى للسيوطى وذكر ابن رجب السر فى ذلك.

(٣) قوله: وهى سؤال الملكين الخ روى أحمد فى الزهد وأبو نعيم فى الحلية عن طاووس أن الموتى يفتنون فى قبورهم سبعا فكانوا يستحبون أن يطعم عنهم تلك الأيام وبهذا وما عضده من الآثار حقق السيوطى أن الفتنة فى القبر سبع وأطال فى الاحتجاج لذلك اهـ الحاوى وهل يسأل الأطفال أو لا؟ قولان مرجحان انظر: الاحتفال بسؤال الأطفال للسيوطى. وفى القرطبى عند قوله: وإذا الموءودة سئلت أن أطفال المشركين لا يعذبون. وأن التعذيب لا يكون إلا بذنب.

سؤال الملكين فيه كما جاء فى الأحاديث التى يبلغ مجموعها مبلغ التواتر واستنبط ذلك واستدل عليه أيضا بقوله تعالى: (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء).

وأن على العباد حفظة يكتبون جميع أفعالهم وأقوالهم.

وأن ملك الموت يقبض أرواح الخلق بإذن ربهم تبارك وتعالى.

وأن الله سبحانه ضاعف لعباده المؤمنين الحسنات وصفح لهم بالتوبة عن كبائر السيئات فتجب المبادرة بالتوبة فتأخيرها ذنب يحتاج إلى توبة.

وأن الله أعد للمؤمنين من الكرامة فى جنته ما لا يعلمه إلا هو سبحانه وأكرمهم فيها بالنظر[١] إلى وجهه الكريم.

وأن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون.

وأن الأرواح باقية منعمة[٢] أو معذبة إلى يوم يبعثون، وأنه لا يخلد فى النار مؤمن، كما أنه لا يدخل الجنة مشرك مات على شركه.

---

(١) وهل يراه سبحانه وتعالى النساء فى الجنة أو هى خاصة بالرجال؟ انظر: نزهة الجلساء فى رؤية الله للنساء للسيوطى. أما الموقف فرؤيته تعالى عامة للجميع.

(٢) قوله منعمة الخ إنما خص الروح بالنعيم أو العذاب لأنهما يقعان فى البرزخ عليها أصالة والبدن تابع لها فى البرزخ عكس الدنيا: والآخرة يقعان عليهما جميعا: واختلف فى مقر الروح بعد الموت: والصحيح أنه يختلف حسب اختلافها سعادة وشقاوة؛ فجميع الآثار الواردة حق وصدق لا تعارض فيها اهـ المؤلف.
قوله: والحوض يعنى حوض نبينا صلى الله عليه وسلم لما جاء من الأحاديث الكثيرة الصحيحة وأحد القولين المصدر بهما فى تفسير الكوثر: أما سائر الرسل فقد جاء أن لكل نبى حوضا ترده أمته. انظر التفاسير ومؤلفات العقائد اهـ، مؤلف.

وأن جميع ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حق وصدق لا شك فيه ولا تناقض ولا تعارض يعتريه.

وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه.

وأنه ينزل آخر الزمان فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويحكم بشريعة نبينا صلى الله عليهما وعلى جميع الأنبياء والمرسلين إذ هى ناسخة لجميع الشرائع ولا يعتريها النسخ. وأن أفضل الأمة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وأفضلهم الخلفاء الراشدون المهديون: أبو بكر فعمر فعثمان فعلى رضى الله تعالى عنهم، وترتيبهم فى الفضل حسب ترتيبهم فى الخلافة؛ والصحابة رضى الله تعالى عنهم كلهم عدول بنصوص الكتاب والسنة وإجماع الأمة إلا من لا يعتد بخلافه كشذوذ المبتدعة، فالمنتقص لهم بالوقيعة فيهم فاسق مارق إنما يريد بذلك خرق سور الشريعة المطهرة لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم حق. وجميع ما جاء به من القرآن والسنة حق. وإنما بلغنا ذلك ووصل إلينا بواسطتهم رضى الله تعالى عنهم؛ فمدعى جرحهم يحاول بذلك إبطال ما بلغوه للأمّة عن نبيهم صلى الله عليه وسلم؛ وقد فشا من ملاحدة العصر شيء من ذلك على العموم والخصوص فى أفراد منهم. فيجب على المؤمن الزجر عن سماع ذلك وعن الإصغاء إليه، فالتساهل فى ذلك يسبب سريان الفساد فى عقائد العامة؛ وقد أخبرنا الله تبارك وتعالى أنه رضى عنهم على ما كان منهم من عمل مصيبهم ومخطئهم وقيد ذلك فى تابعيهم بالإحسان كما قال جل من قائل: (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجرى تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم) وغيرها من الآى الكثير. وجاء أيضا ذلك فى الأحاديث الصحيحة. وجمع بعض العلماء ستا وعشرين آية تتضمن فضل الصحابة أو عموم الأمة؛ وما كان فى الأمة فالصحابة داخلون فيه دخولا أولياً. فيجب علينا الكف عما شجر بينهم فلا يذكرون إلا بأحسن ذكر ويلتمس أحسن الوجوه فى الاعتذار لهم.

ويجب على المكلف الاعتصام بالكتاب والسنّة والتمسك بما كان عليه السلف الصالح وهم أهل القرون المفضلة المشهود لهم بالخيرية كما يجب أيضا ترك كل ما

أحدثه المحدثون من اتباع الأهواء والبدع والآراء البحتة[١] المصادمة لنصوص الشريعة المطهرة، فهذا من أهم ما يجب اعتقاده على المكلف مستندا فى ذلك على أدلته من الكتاب والسنة. قال علماؤنا رحمهم الله تعالى: خير الاستدلال ما كان على طريقة السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين من العلماء الراسخين وهو الاستدلال بكتاب الله وتدبر آياته والاعتبار ببدائع مخلوقاته وعجائب مصنوعاته والاقتداء بأخبار المصطفى صلى الله عليه وسلم وجميل سيرته وباهر أعلام نبوته مع التفكر فى مخلوقات الله تعالى متبعا لنبيه صلى الله عليه وسلم غير مقلد فى عقائد دينه وغيره من الناس لما فى إيمان المقلد من الخلاف بين العلماء وإن كان الصحيح صحته إن شاء الله إذا كان يقيناً لا يختلجه شك ولا تزلزله شبهة؛ وقد أكثر الله تبارك وتعالى من الأمر بالنظر والتفكر والاعتبار والاستدلال فى كتابه العزيز. قال تعالى (قل انظروا ماذا فى السموات والأرض) الآية. (افلا ينظرون) الآية، (قل سيروا فى الأرض ثم انظروا) الآية، وقال تعالى: (فاعلم أنه لا إله إلا الله) الآية: إلى غير ذلك من الآى الكثير. فهو سبحانه وتعالى يأمرنا بالعلم اليقين المستفاد من أدلته وبراهينه القطعية فإذا أمرنا بالتوحيد أتبع ذلك البرهان والحجة، قال تعالى: (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون)، فنبهنا تبارك وتعالى بكوننا مخلوقين، وكل مخلوق فلا بد له من خالق، وقال أيضا: (وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم). ثم قال بعده مبرهنا على كمال قدرته ووحدانيته: (إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دآبة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون).

---

(١) قوله البحتة احترازا من آراء الأئمة المستندة إلى الاستنباط والاستدلال من النصوص الشرعية، فهذا ليس بمذموم بل هو من الطف فهم النصوص وأدقه، فما ورد عن السلف من مدح الرأى يحمل على هذا وما ورد من ذم الرأى يحمل على مجرد الآراء البحتة التى لا مستند لها من كتاب ولا سنة اهـ مؤلف.

(فصل فإذا اعتقد المكلف)

ما ذكر بجنانه، ونطق بلسانه وعمل بأركانه، فقد تم إيمانه وكمل إسلامه، فالإسلام لغة الاستسلام والخضوع والانقياد مطلقا، وشرعا فعل جميع ذلك لله تعالى.

وأركانه خمسة: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت؛ والإيمان لغة التصديق مطلقاً؛ وشرعا تصديق القلب وإقراره ومعرفته بالله تعالى تصديقا جازما لا تزلزله شبهة ولا يختلجه شك.

وأركانه ستة: الإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره. كل ذلك من الله تعالى فكل مؤمن مسلم ولا عكس، ويطلق كل منها على الآخر. ومتى اجتمعا فى اللفظ افترقا فى المعنى كآية قالت الأعراب، وحديث جبريل وحديث سعد وهما فى الصحيحين. وإذا افترق لفظ الإيمان أو الإسلام اجتمعا فى المعنى كسائر الآيات والأحاديث: والإيمان يزيد وينقص عند أهل السنة؛ فيزيد بالأعمال الصالحة والمداومة عليها وينقص بالأعمال السيئة مع الإصرار عليها. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

تنبيه: وينبغى الإعراض عما يعرض من وساوس الشيطان والفرار من ذلك إلى ذكر الله تعالى؛ فذلك محض الإيمان. ولبعضهم:

وما به يوسوس الشيطان   والقلب يأباه هو الإيمان
فلا تجادل عنده اللّعينا   فإنه يزيده [illegible] تمكينا
قاعدة أسسها زرّوق   ولم تزل أقواله تروق

الباب الثاني

فى وجوب التقليد فى الفروع على القاصرين عن رتبة الاجتهاد

فيجب على من لم يبلغ درجة الاجتهاد تقليد أحد الأئمة الأربعة لتضافر أدلة الكتاب والسنة والإجماع بالاستنباط والاستدلال والنظر؛ إلا ما شذ من معتزلة بغداد القائلين بوجوب النظر حتى على القاصرين من العوام، والجواب عن هذا الشذوذ وبسط أدلة الجمهور مبسوط فى غير هذا المختصر. ومن تأمل كلام الأئمة فى شروط الاجتهاد علم أن الاجتهاد المطلق كالمتعذر فى هذه العصور. فالمتعين على المتدين تقليد أحد الأئمة الأربعة: أبى حنيفة، ومالك، والشافعى، وأحمد رحمهم الله تعالى. قال فى المراق: (والمجمع الآن عليه الأربعة: وقفو غيرها الجميع منعه)، حتى يجيء الفاطمى المجدد؛ دين النبى لأنه مجتهد). وقال العلامة الشيخ محمد السفارينى الحنبلى فى نظم عقيدته:

(من لازم لكل أرباب العمل   تقليد حبر منهم فاسمع تخل[1]

وقد نقل الإمام القرافى عن إمام الحرمين وابن الصلاح تعين التقليد لأحد الأربعة المذكورين دون غيرهم كما فى حاشية الحطاب على مختصر خليل وغيرها من كتب الأئمة. وذلك لحفظ مذاهبهم وتدوينها وضبط العلماء الأئمة لفروعها وأصولها ومعرفة مطلقها ومقيدها والمهجور والمعمول به منها؛ فإذا أطلقوا حكما فى

---

(١) قوله تخل بالخاء المعجمة: معناه، تظن وتعلم أصله مثل كما فى شرح العقيدة المذكورة لمؤلفها وفى فتح المنعم صفحة ٢٨٠ جزء ٣ بعد كلام طويل فى الموضوع ما نصه: الأصح عند الأصوليين صحة فرض التزام مذهب معين من مذاهب الأئمة الأربعة على كل قاصر مثلنا فى هذا الزمن الذى رفع فيه العلم مع العمل كما أشار لذلك صاحب مراق الصعود بقوله: (ثم التزام مذهب قد ذكرا، صحة فرضه على من قَصُرا) الخ ماذكره. وقد نقلنا جملة منه فى مواضع من تعليقنا الحاوى سيما فى فصل فرائض الصلاة عن ذكر رفع اليدين فى الدعاء، فانظره إن شئت.

موضع وجد مكملا أو مقيدا أو مخصصا فى موضع آخر ، فهى بحمد الله محفوظة كأصولها لا يستطيع أحد أن ينسب لها ماليس منها بل يرد عليه أصغر تلميذ ينتسب إلى ذلك المذهب ، ووجوب حصر المقلد فى أحد المذاهب الأربعة المذكورين ، حكى بعضهم الإجماع عليه فى آخر القرن الثامن الذى انقرض فيه مذهب داوود ابن على الظاهرى . وليس المراد من حصر التقليد فى المذكورين هو بطلان مذاهب غيرهم من أئمة الدين والعلماء الراسخين أو كونهم على غير حق بل ذلك لعدم تدوينها لأنها تنقل فتاوى مجردة ، فلعل لها مكملا أو مقيداً أو مخصصا لو جمع كلام قائلها وانضبط لظهر ذلك فيه أو لعله رجع عن قوله كما وقع ذلك لبعض الأئمة فمنع تقليدها لما ذكر ، ولما كان العلماء المحققون لا يجيزون تقليد من لم يدون مذهبه ويحفظ وينقح كان المشهور عند أهل الأصول أن العامى لا يجوز له تقليد مذهب الصحابى لعدم تدوينه ؛ وإن كانوا هم الأئمة فى الدين والقدوة الموثوقين والمبلغين الكتاب والسنة للمسلمين . بخلاف مذاهب الأئمة الأربعة لتدوينها وضبطها ومناقشة أدلتها والإجماع على عدالة أربابها ، وكذلك لا يجوز تقليد من لم يدون مذهبه من الأئمة أو دوّن واندرس كما يأتى بيانه ، والمراد بالعامى هنا غير المجتهد ؛ فالعامى والمقلد مترادفان ، كما أن الفقيه والمجتهد مترادفان عند الأصوليين . وقد دوّن عدا الأئمة الأربعة المذكورين آنفا ثلاثة مذاهب : مذهب داوود بن على والأوزاعى وسفيان الثورى فاندرست ، وآخرها اندراسا مذهب داوود فقد بقى إلى القرن الثامن . وقد جمع الإمام أبو الفضل يحيى بن سلامة أسماء الأئمة الذين دوّنت مذاهبهم ما عدا الأوزاعى فى بيت فقال :

وإن شئت أركان الشريعة فاستمع لتعرفهم فاحفظ إذا كنت سامعا
محمد والنعمان مالك أحمد وسفيان واذكر بعد داوود تابعا

ولا أدرى لم ترك التصريح بذكر الأوزاعى مع أن مذهبه أكثر انتشارا فى الأندلس والشام من مذهب داوود وسفيان اهـ قاله المايابا الشنقيطى ، قلت : ولو قال فى الشطر الأخير وسفيان أوزاعى وداوود تابعا لحصل التصريح بالأوزاعى . وفيما أصلحنا يقرأ تابعا بصيغة الأمر من المتابعة ، أما فى كلام أبى الفضل فهو

مفعول (اذكر) ولعله عنى به الأوزاعى غير مصرح به لضيق النظم تأمل. قلت: ولا يخفى أن ركن الشيء جزء منه وَعَلَمُهُ ما يهتدى به إليه، فلو قال رحمه الله تعالى: أعلام بدل أركان لسلم من المجاز. وقد جمع أبو الفضل أيضا أسماء القراء السبعة فى بيت فقال:

أبو عمرو. عبدَا الله حمزة عاصم   على ولا تنسى المدينى نافعا

وعبدَا الله فى البيت مثنى يشير به لابن كثير وابن عامر. وجمع بعضهم أسماء الفقهاء السبعة فى بيت فقال:

فخذهم عبيد الله عروة قاسم   سعيد أبو بكر سليمان خارجة

وقد نظمت أسماء الأربعة المقلدين الآن فى بيت جمعا للنظائر فقلت:

ألا كل من لم يقتد بأئمة   فقسمته ضيزى عن الحق مائله
محمد والنعمان ما لك أحمد   نجوم الهدى يهدون للحق سائله
همو دوّنوا علم الرسول وفرّعوا   ينابيع من عين الشريعة سائله
جزاهم إله العرش خير جزائه   ووالى عليهم ديمة العفو هاطله

وما ذكرناه من الإجماع على تقليد الأئمة الأربعة فى الفروع هو مذهب عامة أهل السنة المحمدية. ومنهم أصحاب الدعوة الوهابية كما صرح بذلك الشيخ عبدالله بن الشيخ محمد فى جوابه لأهل مكة وغيره، وكتب السنة طافحة معلنة بأن أجماعهم حجة واختلافهم رحمة. فمن قلد واحدا منهم سلم من العتاب، ولم يخرج إن شاء الله عن دائرة الحق والصواب[1]. ولبعض مشايخنا من علماء الشافعية وهو العلامة الشيخ عبد الله بن على الخزرجى الأنصارى مخمسا بيتى بعض العلماء الأكابر وهما:

---

(١) وفى ذلك قال بعضهم:

ولا يعـــذب اتفاقـــا عبـــد   بفعـــل ما به الخلاف يبـــدو

إن المذاهب كالمناهل فى الهدى   والمرء مثل الوارد الظمآن
والنفس إن رويت بأول منهل   غنيت بِلَا كُرْه لورد الثاني

فخمسها بقوله رحمه الله

نور تبلج كالصباح إذا بدا   بعث الإله به النبىَ محمداً
مازال يظهر فى نجوم الإقتدا   إن المذاهب كالمناهل فى الهدى

والمرء مثل الوارد الظمآن

نعمانهم والأصبحى بمنزل   ما كان عنه التاليان بمعزل
أنهارهم تجرى بعذب سلسل   والنفس إن رويت بأول منهل

غنيت بلا كره لورد الثانى

وله رحمه الله مخمساً أيضاً :

يا سالكا وجد السبيل تعددا   خذ ما تشاء فسوف تأتى المقصدا
واحذر وقوفك حيرة وترددا   إن المذاهب كالمناهل فى الهدى

والمرء مثل الوارد الظمآن

فإذا نزلت من الحمى فى منزل   لا ألفينَّك عن سواه بمعزل
فالحر لا يبقى رهينة أول   والنفس إن رويت بأول منهل

غنيت بلا كره لورد الثانى

وإذا علمت مما تقدم لك نقله أن من قلد واحدا منهم لقى الله سالما إن شاء الله ؛ وعليه[١] فهل يجب على المقلِّد بالكسر بذل ما يستطيعه من الاجتهاد فى اختيار الأفضل ممن يريد تقليده لئلا يكون فى عماية أو يقلد بمطلق التشهى ولقوله تعالى : (اتقوا الله مااستطعتم) أو لا يجب عليه ذلك لجواز تقليد المفضول مع وجود الفاضل : فى ذلك خلاف . وأدلة كل من القوانين مبسوطة فى مواضعها ، فالأول لابن القصار من المالكية وروى عن مالك للآية الآنفة الذكر : وممن قال به ابن شريح والغزالى من الشافعية . وابن عقيل والخرقى والموفق من الحنابلة . ولأحمد روايتان رحم الله الجميع قاله السفارينى . وعلى الأول يجوز التفضيل بالمزايا الظاهرة ما لم يؤد ذلك إلى انتقاص أو استهانة بالمفضول بل يجب احترام الكل وتعظيمهم ونشر فضائلهم التى لا تكاد تجتمع لغيرهم ، جزاهم الله عن الأمة أفضل الجزاء . فإذا علمت ذلك وتقرر وجوب تعظيم الجميع وأن كلا منهم أهل للتقليد ومذاهبهم طرق للجنة حسب ما أجمعت عليه الأمة وعلمت أيضا جواز التفضيل بالمزايا الظاهرة فقد ذهب مقلدوا كلِّ إمام إلى تفضيل إمامهم لما قام عندهم من الأدلة على ذلك . وقد ذهب المالكية إلى ترجيح مذهب مالك رحمه الله بما ثبت لديهم من أدلة نقلية واعتبارية .

أما النقلية فمنها الحديث المشهور الذى تلقته الأئمة بالقبول وعزاه فى الديباج للبخارى ورواه الترمذى وحسنّه والحاكم وصححه وأحمد أيضا . وقد روى عن عدد من الصحابة منهم أبو هريرة وجابر وأبو موسى بألفاظ متفاوتة ، ورواه النسائى مرفوعا إلى أبى هريرة ولفظه : قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يضربون أكباد الإبل ويطلبون العلم ولا يجدون عالما أعلم من عالم المدينة . وقد فسره[٢] رواته التابعون فمن بعدهم بأنه مالك لأنه رحمه الله وُلِد بها وتعلم فيها ونشر العلم بها وتواردت عليه رواة الحديث فيها ، وتوفى بها ولم يخرج عنها إلا لحجة

---

(١) قوله وعليه أى على القول بوجوب التقليد .

(٢) راجع لفظ الحديث فى الأمهات

الإسلام وانظر بقية وجوه الاستدلال بالحديث على أرجحية مذهبه وما جاء من آثار تعضد الحديث المذكور فى المطولات من كتب المذهب.

والثانى من النقلية ما أجمع عليه سلف الأمة من فضله وأهليته للتقليد التابعون فمن بعدهم، ومنهم الأئمة المقلدون؛ فقد ثبت عنهم تعظيمه وتفضيله والأخذ عنه مشافهة كأبى حنيفة والشافعى أو بواسطة كأحمد والبخارى ومسلم، ويكفى دليلا على عظيم مرتبته فى علم الحديث أنك لا تكاد تقلب ثلاث ورقات من الأمهات الست لاسيما الصحيحين منها إلا وجدت: (حدثنا مالك). وقد ألف الإمام المسند الدراقطنى[1] جزءا مستقلا فى الأحاديث التى رواها الإمام المعظم أبو حنيفة عن مالك مع كونه تابعيا وأسن من مالك بكثير، ومن مارس التفاسير علم منزلة مالك فى علم التفسير ودقة الاستنباط، وقال الإمام البخارى: أصح الأسانيد (مالك عن نافع عن ابن عمر). وذكر ذلك أيضا فى شرح كتاب التوحيد. وكان يلقب هذا الإسناد عند المحدثين بسلسلة الذهب، وقال الإمام الذهبى فى تذكرة الحفاظ: مالك شيخ الإسلام فقيه الأمة أثنى عليه أئمة الدين الفحول، وأطال جدا فى ترجمته وأفردها بمؤلف له. وقال فى تذكرته بعد كلام فى مناقبه: وقد اتفق لمالك مناقب ما علمتها اجتمعت لغيره:

أحدها: طول العمر وعلو الرواية.

وثانيها: الذهن الثاقب والفهم وسعة العلم.

وثالثها: اتفاق الأئمة على أنه حجة صحيح الرواية.

ورابعها: تجمعهم على دينه وَعَدَالَتِهِ واتباعه السنن.

وخامسها: تقدمه فى الفقه والفتوى وصحة قواعده اهـ.

---

(١) المجمع على عدالته على بن عمر بن أحمد الشافعى إمام عصره فى الحديث وأول من صنف فى القراءات وعقد لها أبوابا منسوب لدارقطن من أحياء بغداد: بها ولد وتوفى سنة ٣٨٥. اهـ الحديقة شرح الوثيقة للشيخ بحرق المتوفى سنة ٩٣٠ هـ.

وقلت: وقد ألف شيخ الإسلام ابن تيمية فى صحة أصول مالك وقواعده وأهل المدينة(١). ولم تزل علماء المذاهب حتى الآن تؤلف فى فضله رحم الله الجميع ونفعنا بعلومهم وملأ قلوبنا من محبتهم وجمعنا بهم فى دار كرامته؛ إنه تعالى قريب مجيب. وقد عاش مالك ستا وثمانين سنة. وقيل: سبعا وثمانين. وقيل: تسعا وثمانين كما للباجورى على شرح الشنشورى على متن الرحبية. وقد ذكر رحمه الله نظم ميلاد الأئمة الأربعة ووفاتهم(٢) ومدة أعمارهم منسوبا لبعض العلماء بقوله:

تاريخ نعمان يكن سيف سطا ... ومالك فى قطع جوف ضبطا
والشافعى صين ببر ند ... وأحمد بسبق أمر جعد
فاحسب على ترتيب نظم الشعر ... ميلادهم فموتهم فالعمر

---

(١) ومما قال رحمه الله فى مالك: فلا ريب عند أحد أن مالكا رضى الله عنه أقوم الناس بمذهب أهل المدينة رواية ورأيا فإنه لم يكن فى عصره ولا بعده أقوم بذلك منه كان له من المكانة عند أهل الإسلام الخاص منهم والعام ما لا يخفى على من له بالعلم أدنى إلمام، ثم ذكر عن الحافظ أبى بكر الخطيب أخبار الرواة عن مالك فبلغوا ألفا وسبعمائة وهؤلاء الذين اتصل إلى الخطيب حديثهم بعد قريب من سنة ٣٠٠ فكيف بمن انقطعت أخبارهم أو لم تصل إليه أخبارهم. قال: ولهذا قال الشافعى: ما تحت أديم السماء كتاب أكثر صوابا بعد كتاب الله من موطأ مالك اهـ رسالته صحة أصول مذهب أهل المدينة. وله رسالة أيضا أخرى فى صحة مذهب مالك رحم الله الجميع.

(٢) قوله ووفاتهم. وقد نظم بعض المتأخرين أسماء آخر من مات من الصحابة فقال:

آخر من مات من الصحابه ... أبو الطفيل موته بمكه
سهل بن عبد الله بالمدينة ... وأنس بن مالك بالبصره
بالشام أبو قرصافه ... وإن أبى أوفى الحمام وافه
بكوفة واليمن أذكر ابيضا ... وبخراسان بريدة قضى
ثم مائة إلا وقد ... ماتوا ولم يبق على الأرض أحد
رأى بعينيه النبى المصطفى ... فاحفظ لنظمى ذا تنال الشرفا

وقال الشارح:

وآخر الصحب بحمص ماتا ... أبو إمامة وذا قد فاتا

اهـ ص ٢٥٤ جزء أول من دليل الفالحين على رياض الصالحين.

هكذا وجد أى بالكسر والصواب النصب عطفا على المنصوب.

وقد شحنت الكتب قديما وحديثا من تراجمهم وأفردت ترجمة كل منهم بمؤلف قديما وحديثا وأثنى عليهم نظراؤهم من أهل القرون المفضلة التابعون فمن بعدهم إلى يومنا هذا، فارجعه إلى ذلك فى مواضعه وكرر النظر فى مآثرهم لتعلم ما حباهم الله تعالى وخصهم به من فهم كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وتتبعهم آثار أصحابه رضى الله عنهم مع استفراغهم الجهد واستغراقهم الأوقات فى استنباط الأحكام وتنقيح الآثار، فلعل نفسك حينئذ تطمئن كل الاطمئنان بتقليدهم فيما نقل من مذاهبهم متواتراً منقحاً صحيح النسبه إليهم مما انت مضطر إليه فى عباداتك ومعاملاتك، ولا تستطيع أنت ولا أهل زمانك استنباط معشار عشره من أصوله وأدلته. وليكن من شأنك الدعاء لهم ولمن اعتنى بخدمة مذاهبهم إلى يوم الدين. وصلى الله على سيدنا محمد وآله والتابعين؟

(فصل : وإذا علمت أن الواجب على القاصرين التقليد لأحد الأئمة)

فيجب على المقلد الذى لم يبلغ درجة الترجيح لا يفتى إلا بالمشهور من قول مقلده ويحرم الإفتاء بالأقوال الضعيفة وبقول لا يعرف قائله أو لم تصح نسبته إليه، ومثله الإفتاء بما يوجد فى الكتب الغريبة التى لم تشتهر عند أرباب المذاهب المعروفة. وقد قيل فى المعنى:

(ومنعوا الإفتا لأجل الريبه   من كتب لم تشتهر غريبه)

لأن فى الإفتاء بذلك تساهلا فى الدين وخرقا لإجماع المسلمين؛ قال فى الطليحة:

ولم يجز تساهل فى الفتوى   بل تحرم الفتوى بغير الأقوى
وكل عالم بذاك عرفـا   عن الفتاوى والقضاء صُرِفا

يعنى يجب على ولى الأمر منعه عن ذلك وعزله وتأديبه على تجاسره على أحكام الله تعالى . قال الإمام ربيعة أحد أشياخ مالك رحم الله الجميع : بعض من يفتى أحق بالضرب من السُّراق ، أراد بذلك من يفتى بالأقوال الضعيفة .

وقد حكى الإجماع على منع ذلك غير واحد من علماء أرباب المذاهب . وأولى بالمنع وأشد فى الحرمة الحكم بغير ما أنزل الله بل هو كفر أى إن استحله ؛ قال بعض العلماء : إن من يحكم بين الخلق بغير شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كفر وباء بغضب من الله فويل له ثم ويل له إن لم يتب من ذلك قبل موته إلخ ما ذكروه هنا . انظر باب القضاء من شروح المختصر وحواشيه ولا سيما إن اعتقد أن المصلحة فى الحكم بغير الشريعة المطهرة ؛ قلت : ومن تأمل القرآن العظيم علم ما يتحمله الحاكمون بغير الشريعة مع أن هذه القوانين والأنظمة قد اعترف واضعوها أنفسهم بأنها لا تصلح للحكم مطلقا بل لبيئات وأزمنة مخصوصة ، ولذا ترى أهلها دائما يتعقّبونها ويدخلون عليها التعديل . ومن نوّر الله بصيرته علم الفرق بين وضع الله العليم الخبير الخالق الحكيم البصير ووضع البشر المخلوق العاجز الحقير . ويرحم الله القائل حيث يقول :

ضيعتم الإسلام شر إضاعة علمت فضعتم بعد شر ضياع

(فصل)

وشروط المفتى ثلاثة : الدين ، والعلم ، والورع ، ويجب عليه الإفتاء بشروط أربعة : العلم بما سئل عنه ؛ بأن يعلم حكم الله تعالى فى النازلة إما باجتهاده إن كان مجتهدا وإلا فبنص إمامه إن كان مقلدا ، وبلوغهما يعنى السائل والمسئول ، وخشية فوات المقصد بالتأخير ، وأن يسأل عما يجب عليه . ونظمها بعضهم فقال :

وسائل عن فرضه مكلف لمثله بعلم ذاك يوصف
مطلبه يخشى عليه الفوتا جوابه حتم عليه بتّا

قال شب: وفى اشتراط بلوغ السائل نظر؛ إذ الصبى المأمور بالصلاة إذا سأل عن أحكامها يجب كفاية إرشاده، فتأمل. واختلف فيما إذا رأى العالِم من يسىء الصلاة أو الوضوء مثلا قيل: يجب عليه نصحه وتعليمه. وقيل: لا يجب حتى يَسألَ، وقيل: يجب تنبيهه إجمالاً فإذا سأل وجب البيان. واستظهر لقوله صلى الله عليه وسلم: صّل فإنك لم تصّل فأعادها كذلك حتى قال والله لا أحسن غيرها فعلّمنى يا رسول الله، الحديث. أخرجاه فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

وكان الفراغ من كتابة هذه النبذة اليسيرة فى رجب عام ثمان وستين بعد الثلاث المائة والألف من هجرة سيد المرسلين وإمام المتقين صلوات الله وسلامه عليهم إلى يوم الدين.

بلغ ــ مقابلة وتصحيحا ــ مرتين على المؤلف، حفظه الله تعالى.

وقد أشرف على هذه المقدمة جملة من العلماء المعاصرين فكتبوا عليها ما يلى :

صورة ما كتبه العلامة التقى الصالح عالم الشام المحقق الشيخ محمد صالح بن عبد الله الفرفورى : الحمد لله على ما أولانا من النعم ، والصلاة والسلام على خير نبى أرسل للأمم ؛ وبعد فقد اطلعت على رسالة العالم الجليل الأستاذ الشيخ محمد بن المرحوم الشيخ إبراهيم آل مبارك فيما يجب من الاعتقاد مع بيان وجوب التقليد على من لم يبلغ رتبة الاجتهاد ، فسررت إذ أنه طرق هذا الباب فى مثل هذا الزمن ونحن أحوج إليه من كل شىء لتثبيت العقائد ، وأبَانَ للناس بأسلوب رشيق واستدلال واضح وجوب التمسك بالمذاهب الأربعة خشية أن يضلوا سواء السبيل ، فجزاه الله خير جزاء ورزقنا وإياه شفاعة خير الأنام وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

كتبه بيده الفقير إليه تعالى مدرس جامع بنى أمية ومدرس العلوم العربية والشرعية فى الثانوية الشرعية بدمشق .

محمد صالح بن عبد الله الفرفورى

فى ٣٠ من ذى الحجة سنة ١٣٨٠ هجرية .

* * *

صورة ما كتبه الفاضل العلامة الشيخ عبد اللطيف بن محمد آل سعد أحد قضاة المحكمة الشرعية بالبحرين ومرجع علماء المالكية بها الآن :

الحمد لله على نعماه ، والصلاة والسلام على نبيه ومصطفاه ، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن والاه ؛ وبعد فإنى قد اطلعت على هذه المقدمة فيما يجب

على المكلف من الاعتقاد، مع بيان وجوب التقليد على كل قاصر عن رتبة الاجتهاد لجامعها أخينا العالم الفاضل المبارك الشيخ محمد ابن شيخنا العلامة الشيخ إبراهيم آل مبارك فوجدتها مع سهولة حفظها زبدة صالحة نافعة لمن تحقق بها كافية من اقتصر عليها فى موضوعها، نشكر الله تعالى ثم نشكر جامعها المذكور على عنايته بهذا المشروع وجمعه فى هذا الموضوع. فجزاه الله تعالى على ذلك خير، الجزاء ونظمه فى سلك عباده العلماء الأتقياء، وجعل عمله خالصا لوجهه الكريم محصلا للفوز بخلود جنات النعيم. آمين آمين رب العالمين.

حرر فى ٢٣ من شهر رمضان سنة ١٣٦٩ هجرية.

كتبه الراجى عفو ربه الأحد عبد اللطيف بن محمد آل سعد، من خدام الشرع بالبحرين.

* * *

وقرضها العلامة الفاضل الشيخ حسنين محمد مخلوف بما نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله ذى الجلال والإكرام والصلاة والسلام على سيد الأنام وعلى آله وصحبه البررة الكرام؛ وبعد فقد اطلعت على ما حرره الأخ الكريم العلامة الجليل المحقق القدير الشيخ محمد بن إبراهيم المبارك خادم العلم والدين بجد واجتهاد واقتدار فى الأحساء فى رسالته القيمة التى حررها فيما يجب على المسلم اعتقاداً فى حق الله تعالى وتفقهاً فى دينه وتخلقاً بآدابه وما يجب على المكلف الذى لم تتوافر له شروط الاجتهاد فى الدين من التقليد لأحد الأئمة الأربعة أعلام الإسلام: مالك وأبى حنيفة والشافعى وأحمد بن حنبل رضى الله عنهم، وهم الذين ضبطت مذاهبهم أتم ضبط وحررت أكمل تحرير استنباطاً من أصول الدين الكتاب الكريم والسنة الصحيحة المطهرة والإجماع والقياس حتى وضح الحق وانجلى سبيله، وأنه يحرم على من لم يبلغ درجة الاجتهاد لعدم توفر شروطه فيه أن يجتهد فى الدين، ويجب عليه تقليد أحد هؤلاء الأئمة فى الفروع والأحكام، كما

يحرم على من لم تتوفر له شروط الإفتاء فى الدين وشروط تفسير القرآن الكريم والقول فى الأحاديث الشريفة أن يفتى أو يفسر أو يتكلم فى الأحاديث، والله تعالى يقول: (ولا تقف ماليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا). ولقد جاءت هذه الرسالة على صغر حجمها شافية وافية فى هذه الموضوعات الهامة. نسأل الله لمؤلفها جزيل المثوبة وأن ينفع برسالته المسلمين فى الأقطار الإسلامية عامة ويوفقهم لخير الدين والدنيا أجمعين.

كتبه: حسنين محمد مخلوف

مفتى الديار المصرية سابقاً وعضو جماعة كبار العلماء بالأزهر

* * *

صورة ما كتبه العلامة الفاضل الجليل الشيخ أحمد بن العلامة المرحوم الشيخ عبد اللطيف الملا أحد مراجع السادة الحنفية بالأحساء:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذى شرف العلم، واختار له من عباده السعداء ذوى الأفهام، وأشرق فى قلوبهم شمس المعارف وبدر العوارف فكانوا مصابيح الأنام، وأفاض عليهم سجال السعادة، وسحائب أمداده، فصاروا هداة عباده. لدين الإسلام، وأهّلهم للإرشاد، وتحرير المراد، فغدوا للناس منارا كالأعلام، وكشف لهم عن المشكلات الحجاب، وفتح لهم مقفلات الأبواب، وأزاح عن قلوبهم غشاء الأوهام، أحمده سبحانه على أفضاله ومزيد نواله حمدا يستغرق الدهور والشهور والأعوام، وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة أرجو بها الفلاح والفوز والنجاح فى قيام الساعة وساعة القيام، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله مصباح الظلام القائل: من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين، وناهيك بها من بشارة وإعظام صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه وتابعيه ماهدر الحمام؛ أما بعد فقد اطلعت على هذه الرسالة المباركة الشريفة، وما حوته من النقول المنيفة، والعبارات اللطيفة فرأيتها تقر بها العينان وتصغى إليها الأذنان حيث ظهر خيرها وبرها وكيف لا وجامعها أخونا الفاضل العلامة الكامل الموفق إن

شاء الله من المولى تعالى وتبارك الشيخ محمد بن والدنا المرحوم الشيخ إبراهيم آل مبارك، وفقه الله لنشر أمثاله وأراه مايسره فى بنى عمه وإخوانه والمسلمين وأنجاله، فالله يجزيه الجزاء الأوفى ويقربنا وإياه إلى الجنة زلفى؛ إنه على مايشاء قدير وبالإجابة جدير، وصلى الله على خير خلقه وسراج أفقه سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

٢٢/٧/ سنة ١٣٧١ هـ.

قاله بلسانه ورقمه ببنانه خادم طلبة العلم الشريف الأعلى أحمد بن عبداللطيف الملا، عفى عنهم المولى.

* * *

صورة ما كتبه العالم الفاضل المتصدى للتعليم والإرشاد، المنفق أوقاته فى نفع العباد، من بجميع الفضائل تحلى، الشيخ محمد بن سيدنا الشيخ أبى بكر الملا حفظه الله وأدام به النفع آمين. بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذى وفق من شاء من عباده لإرشاد العباد، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبى الهادى وعلى آله وأصحابه النقاد، وبعد فقد وقفت على مقدمة العالم الفاضل الشيخ محمد ابن المرحوم الشيخ إبراهيم آل مبارك فوجدتها كافية فى بابها مرشدة لطلابها نافعة إن شاء الله تعالى لمن تحقق بها، فجزاه الله عن نفسه وعن المسلمين خير الجزاء، وجعله عملا خالصا لوجهه وموجبا للفوز بجنات النعيم؛ إنه بعباده لطيف رحيم.

حرر فى ٢١ من رجب الحرام سنة ١٣٧١ هـ

كتبه العبد الفقير إلى الله محمد بن أبى بكر بن عبد الله.

* * *

صورة ما كتبه العلامة المحقق الشيخ حسن بن محمد محمود العلوى الشنقيطى.

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله وحده، وصلاة الله وسلامه على من لا نبى بعده، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا؛ أما بعد فقد أسعدنى الحظ بمطالعة ما كتبه الشيخ محمد بن إبراهيم آل مبارك فيما يجب من الاعتقاد مع بيان وجوب التقليد على من لم يبلغ رتبة الاجتهاد، فأعجبت بما رأيت من حسن التعبير والاستدلال بالتمسك بكتاب الله وسنة رسوله ومتابعة الخلفاء الراشدين، جزى الله الشيخ محمد بن الشيخ إبراهيم آل مبارك عن المالكية وجميع المسلمين بالخير والتوفيق فى الدارين، ونفع الجميع بما تحتويه الرسالة من علم وبيان وأسكن المؤلف والناشر والقارىء فسيح جناته إنه سميع مجيب، وصلى الله على سيدنا محمد بن عبدالله ورضى الله عن أصحابه وأتباعه وأصفيائه إلى يوم الدين.

حرر فى ٢٥ من رجب عام ١٣٧١ هـ

كتبه المفتقر إلى الله خادم العلم الشريف وناشر كتبه حسن بن محمد محمود العلوى الشنقيطى.

* * *

وقرظها العلامة المحقق الشيخ محمد بن عبد العزيز المانع الحنبلى بما نصه: إلى حضرة العالم العامل الأخ الشيخ محمد بن إبراهيم المبارك، حفظه الله تعالى ونفع بعلومه آمين. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد وصلت إلىّ مقدمتكم المباركة وحينما تسلمتها وكان فى يدى كتاب جليل من الكتب الخطية لشيخ الإسلام ابن تيمية فوضعته وشرعت فى قراءة المقدمة المباركة، ولم أضعها حتى استكملتها فى جلسة واحدة فلم أجد فيها ما ينتقد، بل كلها مما يجب أن يعتقد، بارك الله فيكم ونفعنا وإياكم بما علمنا.

كتبه أخوكم محمد بن عبد العزيز المانع فى ١٣٧٧/١٢/٢ هـ.

وقرضها العالم الفاضل المعلم بالمعهد العالى للقضاء بالرياض وعضو لجنة الفتوى بالأزهر الشريف بمصر بما نصه: بسم الله الرحم الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد النبى المصطفى الأمين وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد فقد اطلعت على المقدمة فيما يجب على المكلّف من الاعتقاد مع بيان وجوب التقليد فى الفروع على القاصرين عن رتبة الاجتهاد لمؤلفها الشيخ محمد المبارك بن إبراهيم بن عبداللطيف آل مبارك فوجدتها كافية فى موضوعها منيرة السبيل أمام مريدها، قد سار فيها المؤلف على طريقة السلف التى هى أسلم الطرق، عمل جهده على أن تأخذ الشخص على النصوص كما وردت فى الكتاب والسنة من غير حاجة إلى تمثيل أو تأويل وأرشده إلى وجوب الأخذ بأحد المذاهب الأربعة التى دوّنت واشتهرت ولم يعدْ شيء منها خافيا على طلابها، ولم يتركه يأخذ بما شاء من غيرها مما لم يوثقْ بضبطه وتحريره، فجزاه الله عن الأمة خير الجزاء، وجمعنا معه مع الذين أنعم الله عليهم من النّبيين والصّدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا، وغفر الله لنا وله ولوالدينا ومشائخنا وإخواننا ومحبينا؛ إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير.

كتبه محمود عبد الدائم خادم الفقه بالمعهد العالى للقضاء (بالرياض) وعضو لجنة الفتوى بالأزهر الشريف بمصر.

حرر فى ١٣٩٤/٥/٨ هـ.

فهرس الكتاب

٢٩ ــفصل: وإذا علمت الخ فيه منع الإفتاء بالأقوال الضعيفة ومن الكتب الغريبة، وتحريم الحكم بغير ما أنزل الله.

٣٠ ــ فصل: فيه شروط الإفتاء والمفتى، وحديث المسىء صلاته منسوبا لمخرجيه.